ورطة الطبيب

ترجمة يسرى الأيوبي (مقتبسة ومترجمة عن مسرحية لبرناردشو للإذاعة)

آمي هناك سيدة تلح علي برؤية الطبيب.

رديني (ممتعضاً للمقاطعة) حسناً وهل إلحاح السيدة سبب مبرر لمضايقتي وأنا مشغول؟ أنظري هنا إنها لا تستطيع رؤيـة الطبيـب، فلـيس بوسعه أن يتخذ مرضى جدداً.

آمي هل قرأت الصحف؟

رديني كلا كفاك ثرثرة، علي أن أنهي الرسائل قبل نزول دكتور ردجن.

آمي لقد نال وسام الشرف، فلا تدعوه دكتور ردجن. إن اسمه الآن سير ردجن.

رديني ماذا؟ إنني جد سعيد لهذا.

آمي لقد جاء سير باتريك العجوز وترك أولى التهاني، وقال بأنه سيعود. الباب سيطرق كل النهار فسيأتي جميع زمرة الأطباء. وهذا يذكرني بالسيدة المسكينة. إنني أظن بأن عليه أن يراها. إنها من النوع الذي يمكن أن يريح مزاجه.

رديني آمي اذهبي! كيف أستطيع العمل وأنت تكنسين وتثيرين الغبار علي!

آمي الجرس يرن.. إنها عربة الطبيب. أهـلاً دكتـور. هـل ارتـديت صدارك النظيف؟

ردجن نعم.

آمي والآن ابق نفسك مرتباً يا دكتور ولا تلوث يديك. إن الناس قادمون لتهنئتك.

ردجن هل قرأت الصحف؟

رديني لقد أخبرتني آمي الآن، إنني جد سعيد، كان يجب أن يفعلوا ذلك منذ سنوات..

ردجن نعم.

آمي دكتور شوميكر

السيد هل تذكرني؟ كنا معاً في كلية الجامعة.. أنا لوني شوميكر.

ردجن من! لوني! أيها الرجل لقد ظننتك مت منذ زمن بعيد. أيـن كنـت خلال الثلاثين سنة الماضية؟

شوميكر في القيادة العامة. ولقد استقلت منذ بضعة أشهر.

ردجن وهل جمعت ثروة؟

شوميكر طبعاً إنني في وفرة.

ردجن أتمنى لو تعلمني السر في هذا الخط.

شوميكر السر بسيط.. إن شعاري هو "الشفاء مضمون"

ردجن (مندهشاً) الشفاء مضمون!

شوميكر مضمون.. فهذا ما يريده كل إنسان من الطبيب، أليس كذلك!

ردجن وهل كان الشفاء تسع حالات من عشر؟

شوميكر (مستاء بعض الشيء) بل أكثر من هذا. أنت تعلم بأن معظم النـاس يبرؤون ببعض الوقاية وبمشورة معقولة. والدواء يفيدهم على كـل حال. فوسفات، كلس، غذاء كيماوي.. لا شيء أفضل منهـا مهمـا كانت الحال.. إنني أستعملها أنا نفسي حين أشعر بانحطـاط، والآن وداعاً.. أظنك لا تبالي بدعوتي لأهنئك.

ردجن بكل سرور يا عزيزي لوي.. تفضل إلى الغداء في السبت المقبل.

شوميكر سأفعل، وداعاً.

* * *

رديني لقد جاء العجوز بادي قبل نزولك ليكون أول من يهنئك.

ردجن من علمك أن تدعو سير باتريك بالعجوز بادي أيها الوغد؟

رديني إنك لا تدعوه بشيء آخر.

ردجن ليس بعد الآن بعد أن أصبحت سير كولنسو ردجن.

آمي (تدخل) سير باتريك.

سير باتريك جئت لأتحدث إليك قليلاً. أيها الشاب أخرج من فضلك.

رديني بكل تأكيد يا سير باتريك.

ردجن إنني مدين لك بكل شيء.

سير باتريك يا ولدي شكراً لك على أية حال.

ردجن إنك لا تزال مهتماً بالعلوم أليس كذلك.

سير باتريك رباه! نعم، إن العلم الحديث لشيء مدهش. أنظر إلى اكتشافك! أنظر إلى أعظم الاكتشافات! إلام تقود؟ إنها تعـود القهقـري إلـى آراء واكتشافات والدي العزيز المسكين الذي توفي منذ أكثر من أربعـين سنة. أليس هذا مسلياً؟

ردجن حسناً ولكن لا شيء كالتقدم. أليس كذلك؟

سير باتريك لا تخطيء فهمي يا ولدي. إنني لا أقلل من شأن اكتـشافك ولكنـه ليس جديداً.. ولقد جربه والدي حينذاك حتى اعتبر استعماله جريمة، فتحطم قلب العجوز المسكين ومات غماً. والآن ظهر بـأن والـدي على حق.. فلقد عدت بنا إلى أسلوب التلقيح ضد الجدري.

ردجن إنني لا أعرف شيئاً عن الجدري، فاختصاصي هو التـدرن ولكـن طبعاً أساس التلقيح واحد.

سير باتريك التدرن! ام –ام- ام! هل اكتشفت ما يبرئه؟

ردجن أعتقد ذلك.

سير باتريك آه نعم. لقد عرفت ثلاثين رجلاً اكتشفوا وسيلة لمعالجته. فلم يموت الناس به؟ إن صديق والدي بردنجتون اكتشف العلاج بالهواء النقي عام 1840 فكان في هذا خرابه، وطرد من عيادته لفتحه النوافـذ. واليوم لا يتركون المريض بأكثر من سقف فوق رأسه. أليس هـذا أعظم مسلاة لعجوز مثلي؟

ردجن أيها العجوز القاسي.. إنك لا تؤمن باكتشافي.

سير باتريك كلا، كلا، ولكن ألا تذكر جين مارسن؟

ردجن جين مارسن؟ كلا

سير باتريك ألا تذكر المرأة ذات القرحة التدرنية في ذراعها؟ أظنك نسيت أنـك عالجتها بهذا اللقاح!

ردجن نعم أذكر، وبدل أن تبرأ تآكلت ذراعها. نعم أذكر المسكينة جـين! على كل حال إنها تكسب معاشها بها إذ تعرضها في المحاضـرات الطبية.

سير باتريك وماذا اكتشفت من حالة جين؟

ردجن إن زرقات الدواء التي تبرئ تقتل أحياناً؟

سير باتريك هذا ما أردت أن أقوله. لقد جربتها بنفسي فقتلت أشخاصاً وأبـرأت غيرهم، فاستغنيت عنها أخيراً لأنني ما كنت أتنبأ بنتيجتها.

ردجن اقرأ هذا الكتيب وستعرف لم كان ذاك.

سير باتريك (بضجر) سئمت كتيباتك. ما هي الفكرة العلمية فيه؟ أوبسونين؟ مـا هو الأوبسونين بحق الشيطان.

ردجن الأوبسونين هو ما تدهن به جراثيم المرض لتتيح للكريات البيضاء التهامها.

سير باتريك نعم، نعم، نعم حسناً. لقد سمعت عـن التهـام الكريـات البيـضاء للجراثيم منذ سنوات قبل أن تجعلها زياً حديثاً. ولكنها لا تفعل دائماً.

ردجن إنها تفعل حين تدهن بالأوبسونين. فالكريات لا تلتهم الجراثيم إلا إذا دهنت جيداً. حسناً، إن جسم المريض يصنع لنفسه هذا الدهن ولكن اكتشافي أن هذا الدهن الذي أدعوه أوبسونين يحدث بأسلوب يتراوح بين الارتفاع والانخفاض وما يفعله الزرق باللقـاح هـو أن يهـيج حالات الارتفاع أو الانخفاض. فلو زرقنا جين مارسن عندما كـان الدهن في حالة الارتفاع لشفينا ذراعها. فكل شـيء يعتمـد علـى الزرق في اللحظة المناسبة، فإما أن تقتل أو تبرئ.

سير باتريك وكيف تفرق بالله عليك بين الحالتين؟

ردجن أرسل إلي قطرة من دم المريض، وفي خمسة عشر دقيقة أعرف ما تحويه من أوبسونين. إن مرضاي لا يموتون الآن.

سيرباتريك ومرضاي يموتون حين أزرقهم في حال الانخفاض.

ردجن تماماً. إن تلقيح المرض بغير أن تختبر الأوبـسونين فـي جـسمه جريمة. فلو أردت قتل شخص لقتلته بهذه الطريقة.

آمي مستر كتلر دلبول.

دلبول يا عزيزي ردجن أحسن التمنيات! تهانئي القلبية! أنت تستحقها.

ردجن أشكرك.

دلبول كرجل، أنت تستحق كل خير كرجل، فالأوبسونين اكتشاف بـسيط كما يخبرك به كل جراح قدير، ولكنني مسرور أن أرى مؤهلاتـك الشخصية قد ذاع صيتها. سير باتريك، كيف حالك؟

* * *